

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[549] وهذا الوعد هو ما أشارت إليه الآية (40) من هذه السورة حيث يقول سبحانه: (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول). فكان أن تصوّر نوح أن قوله تعالى: (إلا من سبق عليه القول) خاص بزوجه المشركة التي لم تؤمن به دون ابنه كنعان، ولذلك خاطب نوح ربّ العزّة بهذا الكلام. ولكنّه سمع الجواب مباشرة .. جواب يهزّ هذا كما أنّّه يكشف عن حقيقة كبيرة .. حقيقة أنّ الربّ باط الديني أسمى من رباط النسب والقراية .. (قال يا نوح إنّك ليس من أهلك إنّك عملت غير صالح). فهو فرد غير لائق، حيث لا أثر لرباط القراية بعد أن قطع رباط الدين. (فلا تسألن ما ليس لك به علم إنّني أعطتك أن تكون من الجاهلين). فأحسّ نوح أنّ طلبه هذا من ساحة رحمة الله لم يكن صحيحاً، ولا ينبغي أن يتصور نجاه ولده ممّاً وعَدّاً به في نجاه أهله، لذلك توجه إلى الله معتذراً مستغفراً و(قال ربّ إنّني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكُنّ من الخاسرين). * * * بحوث 1 - لم كان ابن نوح "عملاً غير صالح"؟! يعتقد بعض المفسّرين أنّ الآية إيجاز حذف، وأصل الآية هكذا "إنّك ذو عمل غير صالح". ولكن مع ملاحظة أنّ الإنسان قد يذوب في عمله إلى درجة كأنّه يصير بنفسه العمل ذاته، وفي اللغات المختلفة يأتي مثل هذا التعبير على نحو المبالغة كأن يقال: إنّ فلاناً هو كل العدل والسخاء، أو إنّ فلاناً هو السرقة والفساد فكأنّه غاص في